



الانزياح التركيبي في القرآن الكريم:
دراسة تطبيقية في التقديم والتأخير والحذف

The syntactical gaps in the holy Quran

Practical study in the anastrophe and the elision

د. سهام صياد

sayadsihem81@gmail.com

جامعة الإخوة منتوري

تاريخ القبول: 2018/11/11

تاريخ الإرسال: 2018/05/10

الملخص:

تنوّعت علوم اللغة العربية في ظلال القرآن الكريم وتشعبت فروعها، وتعدّدت موضوعاتها، من أجل إظهار مكونات النص القرآني واستكشاف أسرارها، ومن بين هذه الموضوعات ظاهرة الانزياح التي يقصد بها خروج اللغة عن الأصل والمألوف في الاستعمال، لتحقيق قيم جمالية وبلاغية واستحداث صور لغوية .

وتحاول هذه الدراسة الوقوف على أبرز صور الانزياح التركيبي في النص القرآني، وتبيان دورها الدلالي والبلاغي فيه بالتطبيق على أسلوبين بارزين هما: التقديم والتأخير، والحذف حيث تتجسد فيهما صور كثيرة للانزياح.

الكلمات المفتاحية: الانزياح _ التركيب _ القرآن الكريم _ التقديم والتأخير _

الحذف.

Abstract :

There are diversity of language science under quran's shadow .it has a several streams and topics which use to appear literary quranic text files . also to discover its secrets.

One of these topic we find displacement ;which we mean the outgoing of language from familiar in order to realize a esthetic and rhetorical values and creat rhetorical pictures.from



this article we try to focus on the main replacement points in the quranic text to show the semantic and phetoric role on it .

As well as the discussion will concentrate on the structural replacement with two sides :submission and literary delay and hunningbird.that's we suppose them as the essential sections that many images appear on it .

Key words: Gaps- Syntx-Holy Quran- Anastrophe- Elision

مقدمة:

استخدم البيان القرآني بدائع بلاغية كثيرة، أعجزت من عاصروه على أن يأتوا ولو بأقصر سورة من مثله $\text{ثُذُتْ ثُذُتْ ثُذُتْ ثُذُتْ ثُذُتْ ثُذُتْ ثُذُتْ ثُذُتْ ثُذُتْ ثُذُتْ}$ [الإسراء: 88]، ولا زالت تُعجز كل عالم بأسرار اللغة إلى يومنا هذا، ومن بين هذه البدائع والدلائل الإعجازية ما اصطُح عليه بالانزياح الذي يهتم بدراسة صور العدول في النص القرآني، استصحاباً للقيم البيانية في التفسير، باعتبارها أداة للكشف عن عمق المعنى القرآني؛ ذلك أن القرآن الكريم في مسلكه اللغوي تجاوز ما درج عليه اللسان العربي استعمالاً واعتاده بياناً، فكانت له طريقتة المائزة في استعمال اللغة، تشكلت منها سمات جمالية نموذجية أبانت عن أسراره وبلاغته إعجازه.

2- مفهوم الانزياح: لغة واصطلاحاً:

أ_ لغة:

وردت لفظة "زيح" في لسان العرب بمعنى: زاح الشيء يُزيح زيحاً وزُيوحاً زيوحاً وزُيْحَاناً، وانزاح: ذهب وتباعد، وأزحته وأزاحه غيره¹.

¹ - لسان العرب: ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دط، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، مادة (زيح)، مج3، ج21، ص1897. وينظر: _القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي، ط3، المطبعة الأميرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1301هـ، مادة (زاح)، فصل الزاي، باب الحاء، ج1، ص225.



وفي التهذيب: الزَّيْحُ: ذهاب الشيء، تقول أَرْحْتُ علته فزاحت وهي تزيح¹ قال الأعشى:

وأرملة تَسْعَى بِشُعْثٍ كَأَنَّهَا وإيَّاهم رُبْدٌ أَحْتَّتْ رِئَالُهَا.

هنأنا فلم تَمُنْ عَلَيْنَا فَأَصْبَحْتُ رَحِيَّةً بِالِ قَدِ أَرْحْنَا هُرْأَلَهُ.

وجاءت مادة "زِيح" في مقاييس اللغة بمعنى: زَيْحٌ وهو زوال الشيء وتنحيته، يقال: زاح الشيء يُزِيحُ: إذ ذهب وقد أرحتُ علته فزاحت وهي تزِيحُ².

أما في معجم أساس البلاغة:

الانزياح: زيح: أزاح الله العلل، وأزحت علته فيما احتاج إليه، وزاحت علته وانزاحت، وهذا مما تزاح به الشكوك من القلوب³.

فالانزياح لفظ مشتق من مادة الفعل الثلاثي "زِيح" أو "زاح" الذي يحمل معانٍ متعددة منها: ذهب، تباعد، بَعُد .

ب_ اصطلاحا:

اتَّخذ مفهوم "الانزياح" ألفاظا عديدة وتعاريف مختلفة، تنطلق من وجهات نظر خاصة أو بحسب المجال الذي يشتغل فيه الباحث، فهناك من يطلق عليه "العدول" أو

¹ - تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تح: محمد علي النجار، د ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1384هـ-1964م، مادة (زاح)، ج3، ص415.

² - معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1402هـ-1981م، مادة (زيح)، ج3، ص39.

³ - أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزنجشري، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م، مادة (زيح)، ج1، ص428.



الانحراف"، أما أبو عبيدة معمر بن المثنى (210هـ) فيطلق عليه اسم "المجاز"¹، وهو عند ابن المعتز (296هـ) "الانصراف"²، وعند قدامة ابن جعفر (337هـ) "الرجوع"³، أما الرماني (384هـ) فقد استعمل مصطلح "العدول" عند وصفه لأحد ضروب البلاغة ألا وهو المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة⁴، وكذلك الحال عند ابن جني (392هـ) فقد استخدم المصطلح نفسه في باب التفسير على المعنى دون المصطلح⁵، كما استعمل أيضا مصطلح "الانحراف" عند وصفه للتحويلات الطارئة على صيغ المبالغة⁶.

ويستعمل أبو هلال العسكري (395هـ) مصطلح العدول في شرحه للفرق بين لفظي "الرحمن" و"الرحيم" قائلا: «أن الرحيم مبالغة لعدوله، وأن الرحمن أشد مبالغة لأنه أشد عدولا إذا كان العدول على المبالغة كلما كان أشد عدولا كان أشد مبالغة»⁷.

¹ - مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تعليق: محمد فؤاد سركين، د ط، مكتبة الخانجي، مصر، 1374هـ-1954م، ج1، ص 10.

² _ البديع: عبد الله بن المعتز: تعليق: إغناطيوس، كراتشوفسكي، ط3، منقحة، دار الميسرة، بيروت، لبنان، 1402هـ-1982م، ص56.

³ _ نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر، تح: كمال مصطفى، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1398هـ-1978م، ص 147.

⁴ _ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني، الخطابي، وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1991م، ص104.

⁵ _ الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، دط، دار الكتب المصرية، مصر، دت، ج3، ص267.

⁶ _ المصدر نفسه: ج3، ص268.

⁷ _ الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دط، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، دت، ص196.



أما ابن رشيق القيرواني فيستخدم مصطلح "الاعتراض"¹

واستعمل عبد السلام المسدي في العصر الحديث مصطلح "الانزياح" واقترح مصطلحا بديلا وهو "التجاوز" أو "العدول" « ولفظ انزياح ترجمة حرفية للفظة "ecart"، على أن المفهوم ذاته يمكن أن نصطلح عليه لفظ "التجاوز"، أو نُحْيِي له لفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محدد وهي كلمة "العدول"².

هذه أهم المصطلحات المرادفة للانزياح في التراث اللغوي العربي، لكن تعددها قد يجعل الأمر عسيرا في ضبط مفهوم واحد له، ومع هذا يمكن القول إن: مصطلح الانزياح مصطلح عسير الترجمة لأنه غير مستقر في المعنى، ولأنه وليد الترجمة للفظة أجنبية؛ وهو مصطلح أسلوبي يعني الخروج عن الأصل والقاعدة؛ أي الانحراف عما هو مألوف وشائع في الاستعمال، ويفضل الأسلوبيون استعمال مصطلح "الانزياح" لكثرة رواجه وإقبال الذوق عليه³.

كما يعد من المفاهيم الأساسية في الأسلوبية، وذلك راجع إلى تأثيرات أفكار (فرديناند دي سوسير)، فمفهوم الكلام عنده يعد ضربا من ضروب الانزياحات الفردية الناتجة عن مستعملي "اللسان"⁴.

ويكاد الإجماع ينعقد على أن الانزياح هو خروج عن المؤلف، أو هو الخروج عما

¹ _ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو الحسن ابن رشيق القيرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م، ج2، ص45.

² _ الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدي، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م، ص162، 163.

³ _ اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري: رابح بوحوش، دط، دار العلوم، عنابة، الجزائر، 1427هـ-2006م، ص196.

⁴ _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.



يقتضيه الظاهر لغرض يقصده المتكلم وقد يكون دون قصد منه، غير أنه في كلتا الحالتين يخدم النص بشكل أو بآخر وبدرجات متفاوتة¹، إذ أنه يسمح للمبدع بمراوغة اللغة، والانزياح عن قوانينها المعيارية التي تحاول ضبط الخروج عن المؤلف والمعناد من اللغة نفسها، وهو المفهوم الذي تبناه علماء الأسلوب أمثال "ليوسبتزر" الذي يعتبره «انحرافاً فردياً بالقياس إلى القاعدة»²، فلا يمكن الخروج أو الانحراف عن الكلام العادي إلا بوجود الأصل الذي يعدل عنه أو معياراً يُنزع عنه، حيث يرى "بير كيرو" أن «الانزياح يُعرف كمياً بالقياس إلى المعيار»³.

وأشار إلى هذا المفهوم يوسف أبو العدوس في كتابه: "الأسلوبية الرؤية والتطبيق"، حيث اعتبره انزياحاً عن قاعدة الاستعمال اللغوي⁴، وهو بهذا يجعل الأسلوب ظاهرة لا تخرج عن مفهوم الانزياح، أما منذر عياشي فيوضح مفهومه للانزياح من خلال العلاقة بين اللغة المعيار والأسلوب المنزاح، وبناءً على هذا يظهر الانزياح على نوعين: «إما خروج عن الاستعمال المؤلف للغة، وإما خروج عن النظام اللغوي نفسه»⁵، فيكون الانزياح في كلتا الحالتين كسراً لمعيار معين ينتج عنه قيمة لغوية وجمالية.

3- الانزياح والنص القرآني:

انفرد القرآن الكريم بأسلوبه الذي أبحر أهل اللغة، وكان هذا الأسلوب الخلاب الذي

¹ _الأسلوبية الرؤية والتطبيق: يوسف أبو العدوس، ط 1، دار الميسرة، الأردن، 2007م، ص7، وينظر أيضاً: _الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: أحمد محمد ويس، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426 هـ_2005م، ص7.

² _ بنية اللغة الشعرية: جون كوهن، تح: محمد الولي العمري، ط1، دار توبقال، المغرب، 1986م، ص16.

³ _ المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

⁴ _الأسلوبية الرؤية والتطبيق: يوسف أبو العدوس، ص188.

⁵ _ المرجع نفسه: ص180.



تميز بألفاظه المنتقاة بعناية، وتراكيبه وجمله أحد أسباب إعجازه؛ إذ نرى التفنن والتنوع الذي يعطي للكلمة ما لا تعطيه كلمة أخرى.

وقد جاء هذا النص حاملاً لقيم جمالية لغوية تشير إلى خروجه وانزياحه عما هو مألوف، هذا الانزياح وُجِدَ في مختلف الدراسات اللغوية التي تحتم بالقرآن الكريم، ولعل أول إشارة وُجِدَتْ في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (210هـ): «ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر، ومجاز ما حذف، ومجاز ما كفَّ عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين، ... ومجاز المقدم والمؤخر»¹، فقصده هنا الانزياح أو العدول عما ألفه الناس من أساليب التعبير.

وتعتبر دراسة ابن قتيبة (276هـ) في كتابه "تأويل مشكل القرآن" دراسة شاملة لجميع أنواع الانزياح في النص القرآني، حيث خصص باباً عنونه ب"مخالفة ظاهر اللفظ معناه"، تحدث فيه عن المعاني السياقية لبعض الأساليب الإنشائية كالاستفهام والأمر، والجزاء عن الفعل يمثل لفظه والمعنيان مختلفان، العام ويراد به الخاص.²

وخروج النص القرآني عن المؤلف من كلام العرب دفع بالعلماء لدراسة القرآن الكريم أكثر، من أجل إثبات إعجازه؛ فالرمامي (384هـ) يتخذ منه حجة قاطعة على تفوقه على ضروب الكلام مطلقاً، ويطلق عليه "نقض العادة"، حيث يقول: «وأما نقض العادة، فإن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام المعروفة، منها الشعر ومنها السجع ومنها الخطب ومنها الرسائل، ومنها المنشور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتى

¹ _ مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، ج1، ص 18، 19.

² _ تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: السيد أحمد صقر، ط3، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م، ص 257_298.



القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة من الحسن تفوق به كل طريقة¹. فالقرآن الكريم يتميز بأسلوبه المعجز، هذا الأسلوب الذي عُدَّ ناقصاً للعادة متجاوزاً لها، بالغاً بحسنه درجة الإعجاز، وعندما وظّف القرآن الكريم الانزياح وظّفه بطريقة فنية دقيقة، توجد في المكان المناسب، قادرة على إيصال المعنى بأسهل الطرق وبأبلغ الأساليب، مراعيّاً القواعد العربية.

فنظم القرآن نظم مخصوص داخل دائرة الفصاحة العربية، نظم معجز بانزياحه وخروج تراكيبه عن المتعارف عليه، مستخدماً مختلف فنون البلاغة القرآنية من تشبيهه، استعارة، مجاز، تقديم تأخير، لف ونشر، والتنفات وغيرها، وهذه الفنون هي ما قسم بها العلماء الانزياح إلى مستويين اثنين: الانزياح الاستبدالي أو الدلالي²، والانزياح التركيبي موضوع هذا المقال.

3-1- الانزياح التركيبي:

هو الانزياح المتعلق بتركيب الكلمات بعضها مع بعض في السياق الذي ترد فيه، ويحدث مثل هذا الانزياح من خلال الربط بين الدوال بعضها ببعض في العبارة الواحدة أو الجملة أو الفقرة،³ لأن الترتيب الطبيعي للكلام أو الجملة النحوية الفعلية يقتضي: فعل +فاعل +مفعولاً به، وفي الجملة الاسمية، المبتدأ +الخبر.

ولذلك فإن المتكلم حينما يخرج عن الحدود النحوية المتعارف عليها، ويلجأ للانزياح، فقد يكون لغرض تحقيق هدف دلالي، لا يستطيع أن ينجزه إن حافظ على

¹ _ النكت في إعجاز القرآن ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الروماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف أحمد، محمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، مصر، دت، ص111.

² _ للتوسع أكثر ينظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: أحمد محمد ويس، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005م، ص 111، 112.

³ _ الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: أحمد محمد ويس، ص 120.



الترتيب المعتاد للجملة « وأهمية المعنى تأتي من أهمية موقع الكلمة، وتحريك الكلمة أفقياً إلى الأمام، أو إلى الخلف يساعد مساعدة بالغة في الخروج باللغة من طابعها النفعي إلى طابعها الإبداعي»¹.

وما يعيننا في هذا العنصر هو الوقوف على بعض مظاهر الانزياح التركيبي في النص القرآني، المتميز بأساليبه المتنوعة، والتصريف في التراكيب من حيث: التقديم والتأخير، الحذف، الالتفات، التعريف والتنكير، الاعتراض وغيرها من الأساليب، التي كان لها الأثر الواضح في إثراء دلالة النص القرآني، للكشف عن قيمه وأسراره البلاغية، حتى وإن خرج عن معتاد اللغة العربية، وسنخصّ التقديم والتأخير والحذف بالدراسة لأنهما يمثلان بؤرة مباحث الانزياح التركيبي.

3-1-1- التّقديم والتّأخير:

من المعروف أنّ لغة العربية نظاماً معيناً في ترتيب عناصر الجملة، ولكن هذا النظام ليس مطّرداً دائماً ففي أحوال كثيرة يتمّ الانزياح عنه، والخروج على قواعده، بتحريك عنصر ما إما بتقدمه أو تأخيره بحسب دلالاته في الجملة.

ولقد تنبّه سيبويه لهذه الظاهرة قديماً وأشار إلى ما لها من أثر دلالي عند حديثه عن الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعوله، حيث يكون التقديم حين يكون بيانه أهم وأولى²، ولهذا فإن ظاهرة التقديم والتأخير تُعدّ دليلاً على مرونة اللغة العربية، في تغيير تركيب الجملة، والتصريف في الرتب لغايات وأسرار بلاغية.

أما تعريف التقديم والتأخير لغة واصطلاحاً فيكون على النحو الآتي:

¹ _جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم: محمد عبد المطلب، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر لوئجمان، القاهرة، مصر، 1995م، ص161، 162.

² _الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1408هـ-1988م، ج1، ص35.



أ- التقديم والتأخير لغةً: تقدّمه وتقدّم عليه واستقدم، وقدمته وأقدمته، فقدّم وأقدم بمعنى تقدّم، ومن مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة والإقدام في الحرب¹. ويقال: مضى فُدْمًا وتأخر أُوخِرًا وجاء في أخرجيات الناس، وأخّرتَه فتأخّر واستأخّر كتأخّر²، ومنه قوله تعالى: زَكَّيْكُمْ سُنَّيْنٍ نُّنَّيْنٍ [الحجر: 24].
والآخر خلاف الأول يقال: لا مرحبًا بالآخر أي بالأبعد³.
والتقديم والتأخير مصدران للفعل قدّم وأخّر، وجاء اسم الفاعل منها المقدم والمؤخر، والمصدر منها التقدّم والتأخير، وفي لسان العرب: «المقدّم في أسماء الله الحسنى هو الذي يُقدّم الأشياء ويعرضها في مواضعها، فمن استحق التقديم قدّمه ومقدمة كل شيء أوله»⁴.
ونقيضه في العربية هو المؤخر: «وهو الذي يؤخر الأشياء فيضعها في مواضعها»⁵.
ولعل مجيء الاسمين (التقديم والتأخير) عوضًا عن (التقدم والتأخر)، هو أن هذين الأخيرين لا يؤديان الغرض المقصود.
ومن أجل ذلك فقد اعتنى النحاة بهما واستعملوهما في تعبيرهم عن ظاهرة معينة في التركيب اللغوي؛ فالتقديم في اصطلاحهم: «هو خلاف التأخير وهو أصل في بعض العوامل والمعمولات ويكون طارئًا في بعضها الآخر، ومما يجب التقديم فيه هو أصل الفعل مع الفاعل والمبتدأ مع الخبر، والفاعل مع المفعول به، وبقية الفضلات والمكملات»⁶.
وأما التأخير في الاستعمال النحوي «هو حالة من التغيير تطرأ على جزء من أجزاء

¹ _ أساس البلاغة: الزمخشري، مادة (ق د م)، ج 2، ص 58.

² _ المصدر نفسه، مادة (أخ ر)، ج 1، ص 22.

³ _ لسان العرب: ابن منظور: مادة (أخ ر)، ج 1، ص 38.

⁴ _ المصدر نفسه: ج 39، ص 3552.

⁵ _ المصدر نفسه: ج 2، ص 38.

⁶ _ معجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد سمير نجيب اللبيدي، دار الثقافة، الجزائر، دت، ص 1.



الجملة وتوجب وضعه في موضع لم يكن له في الأصل»¹.

ب- اصطلاحاً: الكلمة تتبادل مع غيرها لتترك موقعها في الكلام، وإما أن تأتي متقدمة أو متأخرة، وهذا لكي تؤدي دوراً بلاغياً ما كانت لتؤدي لو أنها بقيت في مكانها الأصلي².

ومن الأمثلة قوله تعالى: **زُجِّجَ كَكَّجْجَ بَّجَّجْجَ كَّجَّجْجَ كَّجَّجْجَ نَّجَّجْجَ نَّجَّجْجَ** [هود: 77]، وقوله تعالى: **زُجِّجَ كَكَّجْجَ كَّجَّجْجَ** [الحجر: 61].

يتكوّن تركيب الجملة في سورة هود من: فعل (جاء) + فاعل (رسل) + مفعول به (لوط).

أما تركيب الجملة في سورة الحجر فمختلف عن تركيبها في سورة هود من حيث ترتيب العناصر، فقد جاء على النحو الآتي: الفعل (جاء) + المفعول به المقدم (آل) + الفاعل (مرسلون).

إن التقديم والتأخير في هاتين الآيتين مختلف، فتقدّم المفعول به (آل لوط) في سورة الحجر على فاعله (المرسلون)، بينما جاء الفاعل في سورة هود وفق الترتيب النحوي المعتاد، فما السر في ذلك؟.

إن سياق الآيتين متضمن لأحداث قصة النبيين لوط وإبراهيم عليهما السلام مع الملائكة، وأنه بعد مغادرة الملائكة إبراهيم ذهبوا إلى لوط، ولكن في هيئة بشر كما فعلوا مع إبراهيم (ل)، فتقدّم المفعول به (آل لوط) على فاعله (المرسلون)، لأن الحديث عن نبي الله

¹ _ معجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد سمير نجيب اللبدي، ص 9 .

² _ بلاغة الكلمة والجملة والجملة: منير سلطان، ط3، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 1996م، ص



□ ژ [هود 77-81]، فما جواب هذا؟، وترتيب الأحداث هنا غير ترتيبها في النظام السابق، قال الجواب: هو أن الملائكة في هذه الآيات قد ألقوا بالبشرى إلى لوط حين التقوا به ورأوا ما دخل عليه منهم من خوف وفزع... ثم جاءه قومه بعد ذلك وكان ما كان منهم معه ومع الملائكة، فكان من لوط كرب وضيق مما حل بالملائكة وتشبث قومه بهم ومحاولة الاعتداء عليهم¹.

ومما تقدم نلاحظ أن هذه الآية أصبحت بفضل ما فيها من انزياح تحمل دلالات أخرى، فالسياق هو الذي أوجد هذا الترتيب في الآيتين السابقتين.

ومن مظاهر التقديم والتأخير في الجمل، وعلى وجه الخصوص في الجملة الفعلية أثناء تقديم المفعول به، وهو اسم وقع عليه فعل الفاعل، والأصل فيه أن يأتي بعد إتمام الإسناد فيتأخر عن الفعل والفاعل، ولكن قد يتقدم على الفاعل، وعلى الفعل والفاعل معاً، لنكتة بلاغية ما، وحسب ما يقتضيه المعنى البلاغي لذلك ومثاله قوله تعالى: ژ ٹ ٹ ڈ ڈ ڈ ف ف ف ڈ ڈ ف [النساء:8]

فترتيب الجملة جاء كما يأتي: فعل (حضر) + مفعولاً به مقدماً (القسم) + فاعل مؤخر (أولوا القرية)، فجاء هذا التركيب مخالفاً لمقتضى الظاهر؛ إذ المفروض أن يكون: فعل (حضر) + فاعل (أولوا القرية) + مفعولاً به (القسم)، فما السر الإنزياحي في هذا؟.

تحالف الآية الكريمة مقتضى الظاهر في ترتيب عناصر الجملة الفعلية، حيث تقدم المفعول به "القسم" على الفاعل "أولوا القرية"، من أجل الاهتمام بالمقدم لأن الحديث منصباً عنه، وهذا من الأغراض البلاغية التي يخرج إليها التقديم.

ففي الآية مدار الحديث عن القسم، فكان الأولى بها أن تتقدم على الفاعل، للفت الأنظار إليها ولتستقر في النفوس، ومن أجل جعل القائمين عليها يهتمون بقسمتها،

¹ _ التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، د ط، دار الفكر العربي المعاصر، القاهرة، مصر، د ت، ج4، ص 255، 256.



3-1-2- الحذف:

يقتضي السياق اللغوي الحذف، لأنه من الوسائل المهمة التي تساهم في تحقيق المعنى البلاغي، فالجملة ترتبط بجملة أو بجمل أخرى، قد تكون سابقة لها أو لاحقة، مع وجود قرينة تكون دالة عليه حتى يتلاءم مع أهم خصائص اللغة العربية وهي الإيجاز، يقول عبد القاهر الجرجاني: « هو باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، وتحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين »¹.

هذا ما يُضفيه الحذف على السياق من جمال في التعبير، ودقة في العبارة، وما يتركه في النفس من أثر، يكون أبلغ عند حذفه من الذكر.

وقبل الحديث عن الحذف فإن التعريف اللغوي والاصطلاحي له هو:

أ- لغة: جاء في تاج العروس: «حذفه، يحذفه، حذفًا: أسقطه... وقال غيره: حذفه، حذفًا: قطعه من طرفه... وقال الليث: الحذف: قطع الشيء من الطرف»².
وجاء في لسان العرب: «حذف الشيء يحذفه حذفًا: قطعه من طرفه... والحذافة: ما حُذِفَ من شيء فطرح... وفي الصحاح: حذف رأسه بالسيف حذفًا ضربه فقطع منه قطعة... الجوهرية: حذف الشيء إسقاطه»³.

ويتضح مما سبق أن الحذف هو القطع من الطرف خاصة، إضافة إلى الطرح والإسقاط.

¹ _ دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 2004م، ص146.

² _ تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح: مصطفى حجازي، دط، الكويت، 1409هـ-1989م، مادة (ح ذف)، ج23، ص121-125.

³ _ لسان العرب: ابن منظور، مادة (ح ذف)، مج2، ج10، ص810-811.



ب- اصطلاحاً: هناك تعاريف عديدة منها: «إسقاط كلمة من بناء الجملة، وقد تكون هذه الكلمة ركناً من أركانها، كالمبتدأ أو الخبر أو الفاعل، وقد تكون حرفاً، وقد تحذف الجملة كجملتي جواب الشرط أو جملة جواب القسم»¹.
ولعل أنسبها تعريف الزركشي: «إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل»².
ويقول فاضل صالح السامرائي عن الحذف القرآني خاصة: «قد يُحذف في التعبير القرآني لفظاً، أو أكثر حسبما يقتضيه السياق، فقد يحذف حرفاً أو يذكره، أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف، كل ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن والجمال»³.
ويبين السامرائي هنا دور البلاغة في الحذف؛ أي أن للحذف أغراضاً بلاغية يخرج إليها، مع شرط مراعاة السياق.

ولو تأملنا القول جيداً لوجدنا فيه حديثاً عن أنواع الحذف، كحذف لفظ أو أكثر، أي قد تكون جملة أو أكثر، وحذف الحرف، وُرُبطت هذه الأنواع بالأغراض البلاغية التي يخرج إليها في ضوء السياق⁴.

ومن الأمثلة التي تبرز ذلك قوله تعالى: **رُجِدِ يَدُ تَدْتُ دُتُّ رُتُّ رُك**

ك كُث [الذاريات: 38-39]

حذف المبتدأ "هذا"، وتقدير الكلام: (هذا ساحر أو مجنون)، لأن سياق السورة يصور تكذيب فرعون لموسى عليه السلام، ورغبته في القضاء عليه، وإن ذكر اللفظ الدال

¹ _ معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية: محمد ابراهيم عبادة، ط2، مكتبة الأدب، القاهرة، مصر، دت، ص85.

² _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص102.

³ _ التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، ط4، دار عمان، الأردن، 1427هـ-2006م، ص75.

⁴ _ أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز: مصطفى شاهر خلوف، ط1، دار الفكر عمان، الأردن، 1430هـ-2009م، ص155-190.



على موسى عليه السلام يحمل دلالة السخرية والتهكم بفرعون، فضلا عن أن سياق القصص القرآني في هذه السورة مبني على الإيجاز، فناسب الحذف سياق الإيجاز. وللظاهر ابن عاشور قول آخر: « والتقدير: وتركنا في موسى آية... والكلام على حذف المضاف، أي في قصة موسى حين أرسلناه إلى فرعون بسُلطان مبین فتولى... فيكون التقدير المقدر في حرف العطف مرادا به جعل الدلالة باقية فكأنها متروكة في الموضوع لا تنقل منه»¹.

ومما لا شك فيه أن الحذف في القرآن الكريم يتمتع بقصدية لا حدود لها، وأن هذه القصدية الجمالية منساقة خلف المعنى، تلاحقه فتمسك به، وتقدمه على أكمل وجه وأحسنه، والمسألة التي يثيرها الحذف في القرآن الكريم، هي أن الحذف يتجه بالناظر في المعنى إلى السياق، ولا شيء غير السياق كي يتحصل على المعنى منه².

فجاء الحذف مراعيًا للسياق من خلال استبعاد بعض العناصر التي تشير إلى العنصر المحذوف، بحيث يغني المذكور في إغناء الدلالة عن العناصر المحذوفة، وبتقدير المحذوف يكتمل المعنى البلاغي للنص القرآني.

ومن أمثلة الحذف أيضا قوله تعالى: ﴿فَقَفَّوْاْ أَصْفَادًا﴾ [النحل: 81]؛ أي: تقيكم الحر والبرد فحذف المعطوف لدلالة الكلام عليه، وفي ذلك يقول أبو السعود: «خصه بالذكر، اكتفاء بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر، أو لأن وقايته هي الأهم عندهم»³.

¹ _ التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، ج 27، ص 9.

² _ في علم دلالة النص، نظرات في قصدية الحذف: بين مظاهر الإعجاز القرآني ومناهج التحليل اللغوي: محمد جعفر العارضي، ط 1، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2012 م، ص 49.

³ _ تفسير "أبو السعود": المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي،



قال الزركشي: « ما بين الآيتين جمل محذوفة تقديرها: فأخذ الكتاب فألقاه إليهم، فرأته بلقيس، وقرأته، وقالت: يا أيها المملأ¹».

(أذهب بكتابي هذا) يقتضي كلاماً محذوفاً، كنفكير سليمان في الاتصال بملكة سبأ، التي قالت (يا أيها المملأ إني ألقى إلي كتاب كريم) فطويت وحذفت أخبار كثيرة لتقدير الكلام ب: فذهب الهدهد إلى سبأ فُرْمِي الكتاب إلى الملكة وهي في مجلس حكمها فقرأته... فحذفت تفاصيل كثيرة لسرعة الاجابة لقول سليمان على صيغة الأمر (أذهب) وجواب الملكة (ألقى كتاب كريم).

لقد حذفت القصة التفاصيل غير المهمة على عادة القرآن في اختصار المشاهد وتكثيف المعاني.

- وختاماً يمكن القول إن النص القرآني مثلً بخروجه عن اللغة المألوفة وبانزياحه عن المتعارف عليه ظاهرة إعجازية، وجد فيها الدارسون مجالاً رجباً للكشف عن خصوصيته البلاغية .

_ يعد الانزياح إجراء بلاغياً يستخدم لدراسة بلاغة التركيب.

_ لا يمكن أن نعتبر كل خروج عن المؤلف انزياحاً ما لم يحقق سمة جمالية ولمسات بيانية واضحة.

_ تجلّى الانزياح التركيبي بنوعيه التقديم والتأخير والحذف، في محكم الكتاب، وهذا هو الذي يثبت إعجاز القرآن الكريم.

_ التقديم والتأخير من المباحث التي يقوم عليها الانزياح، لما له من وثيق الصلة بقصد المتكلم وحال المخاطب، والمقام الذي يلقي فيه الكلام.

_ لا تقتصر دلالة النصوص القرآنية على ظاهر ألفاظها فقط، بل تشمل ما يفهم من معاني، وبالتالي فإن فهم العنصر المحذوف يساعد على فهم المعنى.

¹ _ البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3، ص118.



مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر -

رت م د: 1112-4040, رت م د إ: X204-2588

تاريخ النشر: 2018/12/13

المجلد: 32 العدد: 02 الصفحة: 48-72

_ يخرج الحذف لأغراض بلاغية كثيرة أخرى منها: الإيجاز والاختصار.

فالقرآن الكريم مازال وسيظل زاخراً بالقضايا البلاغية التي تحتاج للدراسة العميقة من أجل الوقوف على خصائص أسلوبه وما امتاز وتفرد به به **زِكْ كِكْ كْ كْ كْ كْ كْ كْ كْ** [الحجر: 09].